

واقع حفظ وصيانة المخطوطات بالزوايا الجزائرية:

الزاوية القاسمية بالهامل نموذجا.

الأستاذ: صغيري ميلود

جامعة: وهران-1-

مقدمة:

تشغل المخطوطات القديمة مكانة مميزة لكونها جزء من الذاكرة الجماعية ومنتوج حضاري للأمة لذا فإن حمايتها ودرستها ونقلها إلى الأجيال القادمة تمثل إستراتيجية في مجال كتابة التاريخ العلمي والثقافي. يعد تراثنا المخطوط أضخم تراث مخطوط عرفته البشرية ، لأنه يمتد بطول حقبة من الزمان تزيد على أحد عشر قرنا تبدأ منذ إن عرف العرب الكتابة وتستمر حتى دخول الطباعة إلى عالمنا العربي مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة؛ وإذا كان القرآن الكريم هو الذي حافظ على هذه اللغة وعصمها من التحريف والتبديل وأمدّها بمقومات البقاء والاستمرار على مدى تلك القرون المتعاقبة فإن تأخر ظهور الطباعة في عالمنا العربي قد أطال عمر عصر المخطوطات وأعطى له امتدادا في العصور الحديثة يضاف إلى هذا العمق التاريخي البعيد.

لقد أحدثت الغزوات الخارجية والفتن الداخلية جروح غائرة في جسد تراثنا المخطوط ما زالت آثارها واضحة للعيان حتى الآن ، فقد مُزق هذا التراث شر ممزق، وأتلف منه ما أتلف ، وسرق منه ما سرق، وما تبقى منه في الخزائن والمكتبات إلى الآن هو في كثير من الأحيان أشلاء متناثرة، وهذا يلقي على الخزائن والمكتبات مسؤولية كبيرة في الحفاظ وصيانة وفهرسة ما لديها من أصول هذا التراث فهرسة علمية دقيقة تعرف به وتيسر استخدام الباحثين له.

تعد الجزائر من بين أهم الدول العربية الإسلامية التي لها رصيد تراثي ومخطوط ويعود ذلك إلى العدد الكبير من الزوايا حيث نجدها تتوزع على مختلف المناطق والنواحي مما يؤكد بأن للجزائر مساهمة واضحة في ازدهار الحضارة الإسلامية من خلال انتشار مراكزها الإشعاعية.

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

من بين هذه الخزائن نجد زاوية الهامل وهي أحد هذه الخزائن الغنية بهذا التراث المخطوط حيث تحتوي على عدد كبير من المخطوطات ومن هنا جاءت دراستنا والموسومة ب: **واقع حفظ وصيانة المخطوطات بالزوايا الجزائرية: زاوية الهامل** نموذجا.

✦ أهمية الدراسة:

تناولت في هذه الدراسة تعريف بماهية المخطوطات وصلتها بالتاريخ ورسالتها الحضارية كما تحدثت عن دور المخطوطات كمصدر للمعرفة والتاريخ وعن دورها في التراث دورها في التراث والثقافة والعلم وكذا تحديد الأخطار التي تصيبها وكيفية معالجتها.

✦ أهداف الدراسة:

الهدف من تناول هذا الموضوع في بحثي هو الوصول إلى جملة من الحلول التي من شأنها المساعدة على حفظ وصيانة المخطوطات من التلف والضياع.

✦ تحسيس الناس بمدى أهمية ودور المخطوطات في الجانب الحضاري والفكري والثقافي لأنها تعتبر ذاكرة الأمة وهمزة الوصل بين الأجداد والأجيال القادمة.

✦ العمل على ترسيخ فكرة جمع المخطوطات في المراكز المخصصة لحفظها وصيانتها حتى يتسنى لنا الحفاظ عليها من عوامل التلف وهنا نخص بالذكر مخطوطات ولاية المسيلة بصفة عامة.

✦ إشكالية الدراسة :

نظرا لطبيعة المادة التي تتكون منها المخطوطات التي تتميز بهشاشتها وحساسيتها لمختلف عوامل التلف التي تؤدي إلى تدهور حالتها وإتلافها تطلب منا التدخل السريع والفعال لوقف هذا التلف الذي يصيبها، ومن خلال هذا التقديم الوجيز نقوم بطرح الأشكال التالي؛ هل تم حفظ مخطوطات زاوية الهامل بطريقة ملائمة تتوافق والشروط العلمية اللازمة؟ وما هي السبل والوسائل التي نستعملها لمعالجة وإيقاف هذا التلف والتدهور؟

من خلال هذا الإشكال المطروح تتفرع عدة أسئلة ثانوية ضمنية تتمثل في:

« كيف يمكن إيجاد السبل التي من شأنها مساعدتنا على صيانة وحفظ المخطوطات؟

« ماهي الشروط التي يجب أن تتوفر عليها الخزائن أو أماكن الحفظ لكي يتم فيها حفظ هذه المخطوطات في ظروف جيدة وملائمة؟

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

« ما هي المواد التي يمكن استعمالها لمواجهة الأخطار التي تصيب المخطوطات؟ »

« ما هي الحلول المقترحة للمحافظة على هذه المخطوطات؟ »

✍ **فرضيات الدراسة:**

« حفظ و صيانة المخطوط تضمن له العيش زمن أطول.

« تقنية الترميم تعيد بعث الحياة في المخطوط من جديد.

✍ **أسباب اختيار الموضوع:**

« الأسباب الموضوعية:

« حادثة الموضوع وأهميته التي بات يفرضها الوقت الراهن، وذلك في اعتماد المخطوطات كمصدر في الجانب العلمي للدراسات والأبحاث.

« نقص المتخصصين في مجال صيانة وحفظ المخطوطات مقارنة بالكم الهائل للمخطوطات التي تزخر بها بعض ولايات الوطن.

« ضياع العديد من العلوم المدونة في هذه المخطوطات وذلك بسبب أتلافها وتدهورها، لعدم قدرتنا على صيانتها وحفظها مما أدى إلى فقدانها.

« الدور الكبير الذي تلعبه المخطوطات في حياتنا، حيث تعتبر الماضي والحاضر والمستقبل لأنها بمثابة همزة وصل بين الأجداد والأجيال القادمة

المتعاقبة، وذلك لتدوينها لتاريخ الأجداد ومخلفاتهم العلمية والثقافية.

« الأسباب الذاتية:

« هناك سبب واحد دعانا لاختيار موضوع الدراسة والتمثل في رغبتنا لمعالجة هذا الموضوع .

✍ **مصطلحات الدراسة:**

- **المخطوط:** لم يرد لفظ مخطوط في المعاجم العربية القديمة، لأنه لم

يكن معروفاً حيث كان يستعمل لفظ " تأليف أما في اللغة اللاتينية فهناك

لفظان أحدهما قديم والآخر حديث فالقديم فهو مصطلح « Codex » وهو

يعني سفر أو كراس أو كتاب أو مخطوط على ورق؛ أما المصطلح الحديث

فهو « Mamuscript » إذ يقول قاموس Colleir's

« Dictionary » أنه يعني الكتاب أو الوثيقة المكتوبة باليد أو بألة الكتابة.

- **المخطوط لغة:** المخطوط أو المخطوطة آتية من خط يخط

مخطوطاً أي كتب بيده، وكل ما كتب بخط اليد يسمى مخطوطاً.

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

- اصطلاحا: كل ما كتب بخط اليد وعلى أي شكل من أشكال الوثائق القديمة أو الحديثة حيث يعكس هذا الخط الصورة الحقيقية للمخطوط.
- صيانة المخطوطات: يمكن القول أن حفظ وصيانة المخطوطات على اختلاف المواد المصنوعة منها تعتمد على تهيئة الأوضاع المناسبة لسلامتها والحفاظ عليها.

- ترميم المخطوطات: هو عملية فنية دقيقة ذات معايير ذوقية وجمالية تحتاج إلى حس عالي وحساسية فائقة وصبر كبير بالإضافة إلى المهارة اليدوية والخبرة العالية في المجالات العلمية المختلفة.
- زاوية الهامل: فهي من المؤسسات العلمية التي أنشئت في منتصف القرن التاسع عشر، وأدت دورا هاما وأساسيا في المحافظة على أصالة وقيم هذا الشعب الدينية والروحية والثقافية، والتي قال عنها الباحث الفرنسي الكبير الأستاذ جاك بيرك: "إن تاريخ زاوية الهامل يهيم تاريخ المغرب بأسره، من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الاستعمار، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس". تقع هذه الزاوية المباركة المجاهدة، على بعد حوالي 250 كلم جنوب الجزائر العاصمة، بالقرب من مدينة بوسعادة أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وهو من كبار رجالات التصوف والعلم بالجزائر في منتصف القرن التاسع عشر.

1- حفظ المخطوطات:

1-1- المبني: فيما يخص المبني المخصص لحفظ المخطوطات يجب أن تراعى فيه عدة شروط منها :
 < أن يكون مقاوما للعوامل الطبيعية كالزلازل والحرائق والفيضانات، كما يجب أن يكون المبني من جدران عازلة للحرارة والرطوبة.
 < أن يخضع المبني إلى الشروط العلمية والمواصفات الدولية لمباني المكتبات ومراكز المعلومات.
 < أن يكون مخزن المخطوطات في أسفل المبني لكي لا يتعرض المخطوط للضوء .

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

◀ يجب أن تتوافر قاعات العرض على ستائر غامقة لحجب أشعة الشمس.

2-1- المكتبة وقاعات عرض المخطوطات: عليها أن تحتوي على عدة أجهزة أهمها:

◀ أجهزة تكييف الهواء حيث يجب أن تكون درجة الحرارة والرطوبة كالاتي على التوالي: 16 إلى 20° م ، 50 إلى 60 بالمئة ويجب التحقق بصفة دورية من المكيفات الهوائية.

◀ استخدام ستائر ومصاريع لحماية الوثائق من ضوء الشمس.

◀ تزويد جميع الفتحات بحاجز مشبك ذي ثقب ضيقة بالقدر الذي يمنع دخول الحشرات دون أن يحد من تدفق الهواء.

◀ لا ينبغي ان تمر أي أنابيب سواء كانت للمياه أو غيرها في المكتبة وقاعات المخطوطات.

◀ توفير المعدات للكشف عن الحرائق والتصدي لها.

◀ تنظيف المكتبة وقاعات المخطوطات على فترات منتظمة، وينفض الغبار باستعمال مكائن كهربائية مزودة بنظام محكم للترشيح ، وتمسح الارضية بممسحة رطبة مرة كل أسبوع .

◀ تعايين قاعات الحفظ بصفة منتظمة ويجب وضع النفايات في أماكن بعيدة عن المخازن.

◀ تحفظ المخطوطات في مكان مظلم ، ولذلك يجب إطفاء الانوار عند الخروج من المكتبة.

◀ فحص المخطوطات من طرف مختص بصفة دورية للتأكد من عدم إصابتها بأي نوع من البكتيريا.

3-1- الأثاث :

1-3-1- الرفوف: تكون معدنية وتطلى بثلاث طبقات لتجنب التأكسد الذي يصيب الحديد ، ويجب خلوها من الحواف المدببة والنتوءات .

◀ تترك مسافة كافية بين الرفوف لكي يتم تدفق الهواء بصورة عادية.

◀ ينبغي أن يعلو الرف الاسفل عن مستوى أرضية المكتبة على الأقل 15 سم لحماية المخطوطات من الرطوبة والكوارث.

◀ الفراغ بين الرفوف والحائط يجب ان لا يقل عن 5سم ، ويجب أن تغطي الرفوف من الاعلى بألواح لكي لا يصيب الغبار المخطوطات.

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

« لا توضع رفوف عالية أكثر مما يلزم لأنه ينبغي تسهيل مناولة المخطوطات.



الشكل رقم(1): يوضح طريقة حفظ المخطوطات.

4-1- تخزين المخطوطات:

- « يمنع منعا باتا وضع هذه المخطوطات على الارضية مباشرة.
- « لا توضع المخطوطات عند خزنها على حافتها الامامية أو على كعبها، فمن شأن ذلك أن يلقي بضغط كبير على كعوب الكتب وتجليدها.
- « لا ينبغي أن تتجاوز المخطوطات حافة الرفوف، لكي لا تحتك مع الموظفين أو مع الآلات المستخدمة

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

« تخزين المخطوطات النادرة والتي توجد في حالة سيئة في صناديق مصنوعة خصيصاً لهذا النوع من المجلدات لكي لا تتلف جوانبها الحديدية المخطوطات الأخرى.

« توضع المخطوطات الكبيرة في وضع أفقي ولا يجب وضع أكثر من ثلاث نسخ فوق بعضها.

« يترك فراغ لا يقل عن 5 سم بين الكتب واللوح الخلفي للرفوف.

5-1 - حفظ المخطوطات باستعمال تقنيات المعلومات الحديثة:

يحدد مجال ومدى تقنيات المعلومات المستخدمة في المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات بالآتي:

الاستنساخ والمصغرات الفيلمية المتصلة بإعادة إنتاج المعلومات للنشر والتخزين والتي يطلق عليها إعادة إنتاج الأشكال المسجلة Reprographics تطبيقات الحاسوب واستخداماته المتنوعة في الإجراءات والأعمال المكتبية واختزان المعلومات أو النصوص وقواعد البيانات.

تطبيقات الاتصالات بعيدة المدى المبنية على نقل الأصوات والأشكال المختلفة. قد استطاعت المكتبات ومراكز المعلومات أن توظف قدرات هذه التقنيات في أعمالها وخدماتها في مختلف دول العالم، وخاصة في الدول المتقدمة، وكان لها تأثيرها الفاعل في أساليب نظم الحفظ والاسترجاع والتزويد والفهرسة والمراجع وسائر الخدمات الأخرى.

قد أسهمت هذه التقنيات الحديثة كالحواشيب والمصغرات الفيلمية في اختزان مختلف مصادر المعلومات الورقية وكان لها دورها في حل مشكلة المكان، والمحافظة على المعلومات من التلف والتمزق والسرقة.

لا تخفى أهمية استخدام هذه التقنيات في المكتبات والمؤسسات الأخرى المهتمة بتجميع وحفظ وفهرسة المخطوطات للمحافظة على هذه الثروة الخطية وإتاحة استخدامها والاطلاع عليها من قبل الباحثين والدارسين بطريقة غير مباشرة من خلال شاشة الحاسوب أو النسخ المصغر كالميكرو فيلم والميكرو فيش بعد توفر أجهزة القراءة، فأصبح من السهل تداولها بين الأفراد والمؤسسات لتوافر نسخ متعددة منها، كما يمكن توفير هذه المصادر الأولية من خلال شبكة الإنترنت. وانطلاقاً من هذه الأهمية لحصر التراث العربي المخطوط والمحافظة عليه يكون من الضروري وجود جهة مركزية تعنى بتجميع وفهرسة وتصنيف المخطوطات بالتعاون والتنسيق مع المؤسسات الثقافية والعلمية الأخرى في كل قطر من الأقطار العربية لغرض بناء قاعدة معلومات شاملة لتراثنا العربي المخطوط بموجب استمارة خاصة معدة لهذا الغرض يتم إدخالها في الحاسوب مع الإفادة من التقنيات الأخرى الحديثة ذات القدرات الهائلة في الاختزان كالأقراص الليزرية المتراسة (CD-ROM)، وبذلك يكون تحقيق الضبط الببليوغرافي الشامل لهذه الكنوز الخطية في غاية الأهمية وسيكون بناء هذه القاعدة جزءاً من النظام الوطني للمعلومات في كل قطر عربي ضمن إطار التعاون والتنسيق مع المؤسسات المهتمة بالتراث العربي الإسلامي.

2- صيانة المخطوطات:

1-2 العوامل المؤثرة في المخطوطات:

هناك عوامل مختلفة تؤثر في المخطوط ويمكن تقسيمها إلى ثلاث عوامل رئيسية تدرج عنها مجموعة من العوامل الفرعية: العوامل الطبيعية، العوامل الكيميائية، العوامل البيولوجية.

1-1-2 العوامل الطبيعية:

● الحرارة: يكون تأثير الحرارة الناتجة عن أشعة الشمس و الموجات الناتجة عن الإنارة والمصابيح أو أجهزة التدفئة مما يؤدي إلى جفاف وتشقق الأوراق والجلود لعدم مرونتها ومن ثم كسرها، كما أن ارتفاع درجة الحرارة يؤدي إلى حدوث تقادم صناعي للمخطوط أي أنها تؤدي إلى سرعة تدهوره وإعطائه عمراً زمنياً أكثر من عمره الحقيقي، وهكذا نجد أن الزيادة أو النقص في درجة الحرارة يؤدي إلى تشقق الأوراق والجلود ويعرض خصائصها إلى أضرار يصعب معالجتها، كما يؤدي أيضاً إلى نمو بعض الكائنات الدقيقة التي تعمل على تحليل السليولوز.



الشكل رقم (2): توضح هشاشة أوراق المخطوط جراء تأثير درجة الحرارة.

✍ **الرطوبة:** لكون المخطوطات والكتب من الخامات ذات الأصول العضوية. سواء نباتي أو حيواني من الورق أو الجلد أو البردي أو القماش والأخشاب، ويوجد فيه ما يتغير بالرطوبة، فعندما تزيد الرطوبة فإن المواد العضوية تمتص الماء ويرتفع المحتوى المائي للمواد مما يؤثر وينتج عنه أعراض منها:

- ✍ انهيار الخواص الميكانيكية للمواد.
- ✍ قابليتها الشديدة للإصابة بالفطريات.
- ✍ يسهل ذوبان الغازات الحمضية في الهواء إن وجدت.
- ✍ يسهل التصاق الأتربة والمعلقات الأخرى في الهواء مما يسبب تلوث واتساخ المواد الأثرية، أما ارتفاع نسبة الرطوبة فيؤدي إلى تشوهات في أشكال المخطوطات وكذلك نمو الحشرات والفطريات والبكتيريا وغيرها

✍ **الضوء:** للضوء علاقة وطيدة بالجفاف والرطوبة ويظهر أثره في المخطوطات في حالتين **الأولى:** جانب غير مباشر بوصفه مصدراً حرارياً يساعد على ارتفاع درجة الحرارة، وظهور الأعراض التي تحدثها الحرارة المرتفعة.

الثانية: جانب مباشر ويظهر تأثيره في النقاط التالية:

✍ **الأكسدة الضوئية:** يتفاعل الضوء مع شوائب الورق في صور أكسدة ضوئية تؤدي إلى ظهور البقع الصفراء والبنية في أماكن التعرض للضوء.

يساعد الضوء على تكسير جزيئات السليولوز، بتفاعله كيميائياً مع بعض الشوائب التي توجد في الورق كالأحماض العضوية والاصماغ معطياً نواتج ثانوية تؤدي إلى تكسير جزيئات السليولوز وبالتالي إلى ضعف الأوراق، فالموجات القصيرة من الضوء غير المرئية كالأشعة فوق البنفسجية، تعمل على اضمحلال لون الأحبار وبخاصة الأحبار الحديدية والصبغية، وهذه الأشعة موجودة في مصابيح النيون.

2-1-2- العوامل الكيميائية: وتندرج تحتها الملوثات الغازية والحرارية الموجودة في الجو، والناجمة عن استخدام الفحم والزيوت كمصادر للطاقة والحركة وأهم هذه الملوثات:

التلوث الهوائي والحموضة وخاصة الغازات الملوثة الحمضية منها:

ثاني أكسيد الكبريت: والذي ينتج في المدن الصناعية، ويتكون أثناء احتراق الفحم والوقود وحركة السيارات، وهو أكثر الغازات ضرراً بأوراق المخطوط.

كبريتيد الهيدروجين: وهو أقل خطورة من ثاني أكسيد الكبريت، بحيث يتكون من جراء النشاط الصناعي والفيسيولوجي للكائنات الحية وأيضاً تحلل المطاط الموجود كعازل في الرفوف والنوافذ والأرضية، ويتفاعل هذا الغاز مع إفرازات العناصر الداخلة في زخرفيات بعض المخطوطات ما عدا الذهب.

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

أكسيد النيتروجين: ويعتبر من الأكاسيد التي تسبب الحموضة في الورق، إذ يتأكد أكسيد النيتروجين إلى فوق أكسيد النيتروجين، الذي يتحول بدوره إلى حامض نترريك (HNO_3)، وينطلق أكسجين ذري يتحد مع أكسجين الهواء مكوناً غاز الأوزون O_3 ، والحامض المتكون يخلق آثار ضارة بالورق والأحبار المكتوب بها المخطوط.

الأدخنة: تعتبر الأدخنة من المواد التي تنتشر بسرعة في الهواء ويصعب السيطرة عليها، وتنتج عن الاحتراق غير الكامل لأي مادة، وتتخلل الأدخنة الرفوف وأوراق المخطوطات بسهولة تامة، حيث يرسب ما بها من مواد عالقة على صفحات المخطوط تحدث تفاعلات مسببة في تبقيها.

الهالوجينات: وهي غازات سرعان ما تنتشر في الهواء أثناء عملية الاحتراق وتكون حمض الهيدروكلوريك HCl وفلوريد الأيدروجين HF ، وكلاهما من المواد الضارة للمخطوط وتشمل الهالوجينات الكلور والفلوريد والبروم واليود وكلها لها تأثير ضار على الأوراق والأحبار.

البكتيريا: وهي كائنات حية دقيقة لا ترى بالعين المجردة سريعة الانتشار والتكاثر والانقسام، إذ تقوم بتحليل مادة السليلوز الموجودة في المخطوط وتصيبه بالإتلاف.

الحشرات والقوارض تلعب الحشرات والقوارض دوراً هاماً في تآكل المخطوطات وإتلافها، فالقوارض تقوم بقرض أوراق وجلود المخطوطات من الكعب إلى الأحرف إذ تنتشر هذه القوارض في الأسقف وتحت الأرض وفي جدران المخازن، ومن أنواع القوارض الفئران والجردان وهما نوعان: حشرات حفارة الأنفاق حشرات سطحية الضرر.

الغبار والأترية: وهي الحبيبات الصغيرة التي يحملها الهواء في صورة غبار أو رماد خفيف تلتصق على جلود المخطوطات وأغلفتها وتنتشر بين الصفحات حاملة معها الفطريات وبويضات الحشرات التي سرعان ما تنمو وتصيب المخطوطات إذا ما توفرت لها الرطوبة والحرارة اللازمين لنموها.

3-1-3- العوامل البيولوجية: كون المخطوطات من أصل عضوي فإنها قابلة للتحلل والفساد تحت تأثير الأوضاع المناسبة، من قبل الكائنات الحية التي تستطيع أن تؤثر وتشوه الورق والأغلفة. الفطريات توجد أنواع كثيرة من الفطريات حتى أزيد من 100 نوع، وتظهر مع ارتفاع نسبة الرطوبة وعدم وجود تيار هوائي، كذلك تعد الأترية عاملاً مساعداً لنمو الكائنات الفطرية، هذه الكائنات هي عبارة عن خيوط رفيعة جداً تعرف بـ "الهيفا" يبلغ قطرها حوالي 1 - 5 ميكرون من أصل نباتي، وتنتشر وتتشابك مكونة ما يسمى بالميسيليوم أو العازل الفطري، هذا الأخير الذي سرعان ما ينمو ويتخلل المادة الغذائية (الأوراق والجلود).

الإنسان: قد يساهم الإنسان بدوره في تلف المخطوطات، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإما لإهماله لها بعدم توفير الظروف والشروط المناسبة لحفظها. ويتسبب الإنسان في تلف المخطوطات كما يلي:

- ◀ تقليب الصفحات بسرعة مما يؤدي إلى تمزيقها.
- ◀ الضغط على كعب المخطوط أثناء تصويره للحصول على صورة واضحة ما يؤدي إلى تفكك الملازم وتلف الكعب.
- ◀ الأكل والشرب أثناء استعمال المخطوطات يؤدي إلى تسيخ الأوراق.
- ◀ الترميم الخاطئ من قبل أشخاص غير مؤهلين يمزق الأوراق ويتلفها.
- ◀ أثناء تدخين الباحث أو القارئ فإنه يضيف نسبة من الحموضة تمتصها أوراق المخطوط وبالتالي تتسبب في هشاشتها وسهولة كسرها.
- ◀ وضع المخطوط على الرفوف بطريقة غير مناسبة يؤدي إلى كرمشة الأوراق وتمزيقها.
- ◀ إضافة علامات أثناء القراءة والإطلاع على المخطوطات.
- ◀ إهمال أمين المخزون في متابعة درجة الحرارة ونسبة الرطوبة وكذا عدم مكافحة الحشرات والقوارض.
- ◀ - إضافة الأوساخ والبقع لصفحات المخطوط في حالة استعماله بأيدي غير نظيفة.



الشكل رقم(4): توضح تمزق وتقطع المخطوط من جراء سوء معاملة تقليب أوراقه.



الشكل رقم(5): توضح التدخل السيئ على المخطوط باستعمال الشريط اللاصق.

2-3- أنواع عمليات الصيانة و الترميم:

1-2-3 الصيانة والترميم اليدوي: الترميم بالأصل عملية يدوية خاصة، تتصل بقوة التحكم ومهارة العمل وجمالية التعامل مع الآثار والمخطوطات، باستخدام بعض الأدوات الخاصة والتي تختلف من شخص إلى آخر يصنعها وينقيها بنفسه، لتتيح له استخدام ذوقه الفني ومهارته، ورغم التطور العلمي والتقني فإنه مازال معروفاً أن الترميم اليدوي هو أعلى أنواع الترميم، وهو الحرفة النادرة في العالم التي تعنى بإعادة الروح إلى المخطوطات النادرة القيمة وإرجاعها إلى أصلها، وكذلك الحال بالنسبة للوثائق التاريخية للمطبوعات الثمينة.

2-2-3 الصيانة و الترميم الآلي: يستخدم الترميم الآلي في حدود ضيقة بالنسبة للمخطوطات، ولكن استخدامه أوسع وأكثر انتشاراً بالنسبة للمطبوعات، وينقسم إلى:

3-2-3 الترميم باستعمال معلق لب الورق في الماء "Leaf Casting" استحدث هذا النوع في الستينيات في الاتحاد السوفياتي السابق، ثم انتشر في الكتلة الشرقية في رومانيا والمجر، ثم النمسا، ومنها إلى أوروبا والولايات المتحدة. وتعتمد فكرة الجهاز المستخدم على استعمال معلق لب الورق المضروب جيداً في الماء محسوباً وزناً ومساحة، ثم امتصاص هذا المعلق في الثقوب والمساحات الناقصة ليكون مساحات ورقية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التجفيف تحت ضغط معين للحصول على النتيجة النهائية للترميم

4-2-3 عملية التقوية بالرقائق "Lamination" تتم هذه العملية أساساً للمطبوعات والجراند والوثائق، وفي حدود ضيقة للمخطوطات شديدة التلف التي يصعب ترميمها بالطرق اليدوية، وتعتمد على التقوية

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

بلصق رقائق شفافة على سطح الورق ، فتجمعه وتقويه في صورة مساحية ثابتة، وقد استخدمت هذه الطريقة في إيطاليا وانتشرت منها إلى أرجاء العالم الغربي، كما تطور هذا النوع أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، ومازال هناك بعض التحفظ لدى بعض الدول باستخدام مثل هذه الطريقة.

وهناك ثلاثة أنواع معروفة من التقوية السطحية بالرقائق البلاستيكية وهي :

- أ - طريقة المعالجات المنفصلة : ويتم فيها معالجة صفحة المخطوط أولاً باللاصق ثم وضع الغلالة البلاستيكية عليه.
- ب - طريقة المعالجة الواحدة : يتم تطبيق الغلالة البلاستيكية التي سبق معالجتها باللاصق، ويتم التطبيق باستعمال ضغط بسيط بالحرارة أو دونها.
- ج- اللصق بالحرارة : ويتم تطبيق الغلالة البلاستيكية تلقائياً دون استعمال لاصق وذلك تحت تأثير الضغط والحرارة.

3-3- اختصاصيو الصيانة والترميم :

ينبغي أن تعهد مهمة الترميم والعناية بالمخطوطات وصيانتها ،إلى أمين مكتبة متخصص، فضلاً عن تضافر جهود جميع العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، للمحافظة على سلامة المخطوطات وحمايتها، ويمكن استعراض أهم واجبات اختصاصي الترميم بالآتي:

- 1- التأكد من جميع المواد المستخدمة في عملية الترميم والصيانة باختبارات عملية للتأكد من جدوى استعمالها، وهذه المواد هي الورق، والخيوط، والمواد اللاصقة، وغيرها.
- 2- الحصول على معلومات جديدة عن صناعة الأحبار والورق والمواد الأخرى بمتابعة البحوث والدراسات التي تنشر في الدوريات ومصادر المعلومات الأخرى العربية والأجنبية.
- 3-- أن يكون واثقاً من أن جميع الطرق المستخدمة في خطوات الترميم كاستعمال الحرارة، أو الضغط لا تسبب ضرراً، بل تدعم بقاء الوثيقة أو المخطوطة أطول مدة ممكنة وتزيد من قوة احتمالها، وإمكانية قراءتها.

4- ينبغي حفظ المخطوطة بعد الترميم والصيانة في وضع طبيعي وتخليصها من بعض المواد المفسدة، أو الأوضاع السيئة بما في ذلك الهواء الفاسد أو الحرارة الزائدة، أو تنامي الرطوبة، وغير ذلك.

3-4- خطوات صيانة و ترميم المخطوطات وتجليدها :

1- ترميم القطوع الداخلية البسيطة في الصفحات باستعمال ورق شفاف خاص يعرف بـ Dennison`s Transparent Mending Tapes

2- ترميم الأجزاء الناقصة بالورق الياباني Japanese Papaers بطريقة اللصق وتقشير الحواف وبعبينة الورق.

3- ترميم كعوب الصفحات المزدوجة، ويتم بربط الصفحات المزدوجة المنفصلة بشريط لاصق من الجهة الخلفية وعلى امتداد خط الاتصال مع التقيد بمساحة قياسية موحدة في الكتاب الواحد.

4- تكوين الملازم من مجاميع الصفحات المزدوجة وخطاؤها.

5- خياطة الملازم لتكوين جسم الكتاب المخطوط.

6- تعزيز الكعب بالغراء السائل وتثبيت كسوة القماش به.

7- تجهيز غلاف الكتاب.

8- تلييس غلاف الكتاب في جسمه.

3-5- العمليات الأساسية لترميم وصيانة المخطوطات:

نظراً لاتساع عملية الترميم وكثرة العمليات والإجراءات التي تدخل في معالجة المخطوط ،وترميم أوراقه وتقويتها والمواد المستخدمة في هذه العملية وما تتطلبه من خبرات ومهارات فنية ،من قبل المتخصصين في هذا المجال فإننا نستعرض بإيجاز العمليات الأساسية لعلاج وترميم المخطوطات من خلال الآتي:

أ- **التنظيف:**الهدف منه تخليص الأوراق والجلود مما علق بها من أوساخ كالأتربة، وآثار الأقلام، أو وجود فطريات وبويضات الحشرات المختلفة.

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014

- ب - **إزالة البقع:** ويتطلب ذلك أولاً تحديد نوع الورق وحالته، ومن ثم تحديد نوع البقع والأوساخ، وأنواع المواد الكيميائية اللازمة لإتمام هذه العملية.
- ج - **إزالة الأحماض الزائدة:** تتكون الحموضة في الأوراق والجلود إما نتيجة لتركيب الأوراق ودباغة الجلود، أو بسبب أوضاع التخزين، أو عن طريق الأحبار المستخدمة في الكتابة. لذا لا بد من إزالة حموضة الورق وأن يعادل قبل عملية التقوية لمنع التحلل الداخلي للورق.
- د - إلى إضعاف مقاومتها، فالرطوبة الزائدة تؤدي إلى تشبع الورق والجلود فتتلف بعض الكائنات الدقيقة، وخاصة الفطريات مخلفة مواد حمضية لزجة وبقع لونية وأحماض عضوية، مما يؤدي إلى التصاق الصفحات بالجلود ومن ثم تحجر المخطوط.
- هـ- **إصلاح التمزقات وإكمال الأجزاء الناقصة:** يقوم المختص بالترميم بإصلاح ما أصاب أوراق المخطوطات من تمزق، أو انتشار الثقوب، أو تكسر بعض الأطراف، أو فقدان بعض الأجزاء، والقيام بتثبيتها وتقويتها بالمحاليل واللواصق الكيميائية، واستخدام مختلف الطرق والأدوات والأجهزة في هذه العملية.
- ومن كل ما تقدم يتضح أن عمليات الترميم هي عمليات فنية وذوقية، تحتاج إلى المهارات اليدوية والخبرة في معالجة الآثار المصابة بالتشققات والكسور والثقوب، وهي في كل الأحوال تقوم على أسس واحدة في مختلف أرجاء العالم كالمحافظة على أثرية المخطوط، واستخدام الخامات الطبيعية والابتعاد عن الخامات الصناعية قدر الإمكان، كما ينبغي أن تكون عملية الترميم عكسية بما يسهل فكها عند الحاجة.



الشكل رقم (5): نماذج لمعالجة الإصابات الفطرية و الحشرية.



الشكل رقم (6): نموذج لإعادة قصاصات الورق.



الشكل رقم(7): نموذج غلاف جلد مذهب قبل الترميم.

3-حفظ وصيانة مخطوطات زاوية الهامل:

1-3 التعريف بمكان الدراسة: تقع المكتبة بزاوية الهامل الشهيرة، مقرها الأول هو منزل الأستاذ محمد بن أبي القاسم، داخل سكناه. وكان يستقبل ضيوفه من العلماء بها، ثم حولت إلى البناية المعروفة بـ"العلي". وهي بناية شيدت في بداية القرن العشرين، مخصصة لاستقبال الضيوف. ووضعت بالطابق السفلي من البناية، نقلت مؤخرا سنة 1997م إلى قاعة واسعة الأرجاء بالطابق العلوي، وهي في مكان آمن يتوفر على الشروط الأساسية للحفاظ على المخطوط. إذ لا وجود للرطوبة أو الحرارة الشديدة، وهذا ربما من الأسباب الرئيسية بالإضافة إلى عناية شيوخ الزاوية بها - في بقاء الكتب في حالة جيدة تحتوي المكتبة على عدد كبير من المخطوطات حوالي 800 عنوان في نحو ألف ومائتي مجلد. وإذا نظرنا إلى محتوياتها نجد أنها تضم كتب الفقه المالكي، التفسير، الحديث، بشكل أكبر ثم تليها الموضوعات الأخرى وهذا ما يطبع معظم المكاتبات الخاصة الجزائرية في تلك الفترة .

علوم القرآن 92 عنوان الحديث الشريف 70 عنوان، الفقه وأصوله 294 عنوان التاريخ والتراجم 44 عنوان، التصوف 94 عنوان، الفكر والتوحيد 54 عنوان، العلوم 22، اللغة والأدب 135 .



الشكل رقم(8): مكتبة زاوية الهامل.



الشكل رقم (9):مسجد زاوية الهامل.

2-3 الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

1-2-3 منهج الدراسة : انطلاقا من طبيعة الموضوع الذي تناولته في البحث فقد اخترت المنهج المسحي الذي يعد نوعا من أنواع المنهج الوصفي.

2-2-3 أدوات جمع البيانات : من خلال معالجاتي لموضوع حفظ وصيانة المخطوطات حاولت تسليط الضوء على هذا الموضوع ومحاولة جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وقد اخترت وسيلة لجمع البيانات وهي الملاحظة والمقابلة.

3-2-3 مجالات الدراسة الميدانية:

المجال الزمني : ويتمثل في المدة الزمنية التي قضيناها في دراسة الظاهرة من بداية تحديد الموضوع إلى غاية اختيار الوسيلة المراد تطبيقها على العينة إلى مرحلة جمع البيانات وتحليلها والتعليق عليها ، حيث دامت فترة الدراسة الميدانية حوالي اربعة أسابيع.

المجال البشري: وهو الإطار البشري الذي يشمل عناصر مجتمع الدراسة وقد شملت دراستنا مدير المكتبة

المجال الجغرافي : ويتمثل في الحدود الجغرافية التي شملتها الدراسة وهي مكتبة الزاوية القاسمية بالهامل، وتتواجد في مكان مرتفع وهو مكان استراتيجي بالنسبة للمكتبة ولمجتمع المستفيدين.

3-3 تفرغ محتوى المقابلة:

المحور الاول: الاهتمام بالمخطوطات في ظل انتشار الاوعية المطبوعة والمنشورة الكترونيا
يرى عمال مكتبة زاوية الهامل أن اهتمام المكتبة بالمخطوطات راجع لكون خزانة المخطوطات من الخزائن المتوارثة عن مجموعة من مشايخ الزاوية ، وكذلك بقيت المخطوطات محافظة على تواجدتها رغم التطورات الحاصلة في مجال النشر ، ذلك أن المخطوط لا يقاس فقط بالمادة العلمية الموجودة فيه ، بل يستفاد منه في العديد من المجالات الاخرى ، ويرجع سبب اهتمام المكتبة بالمخطوطات إلى الأهمية التاريخية والدينية والاثريّة التي يكتسبها المخطوط وهذا ما يجعله يحتل مكانة هامة ضمن الرصيد الوثائقي للمكتبة.

المحور الثاني : حفظ المخطوطات

المكتبة القاسمية لا تستعمل الوسائل الحديثة في عملية الحفظ ، وذلك راجع لمناخ المنطقة الجاف وليس الحار حيث لا توجد رطوبة ولا حرارة عالية اللتان تؤثران على المخطوط هذا من جهة ومن جهة أخرى قلة الامكانيات وارتفاع تكاليفها ما حال دون اقتنائها ، أما بالنسبة للإضاءة فإن عمال المكتبة يحاولون الوصول إلى الإضاءة الكافية بمجهوداتهم الفردية ، وعدم الاعتماد على الطرق العلمية وذلك راجع إلى الاسباب المذكورة أنفا ، أما بالنسبة للأخطار والاصابات التي تلحق بالمخطوط فإنها لم تتعرض لها إلا بعض المخطوطات الواردة من أماكن حارة أو رطبة التي جاءت تالفة من مصادرها ، وتستخدم المكتبة رفوف من الخشب وهي غير ملائمة للحفاظ على المخطوط وقد تكون ضارة ، كما أنها غير كافية

واقعه وأعلامه 16/15 ديسمبر 2014
، وتعاني المكتبة من قلة المساحة المخصصة لها نظرا لضيق المكان من جهة وعدم استعمال الرقمنة من جهة أخرى.

المحور الثالث: الصيانة والترميم وفق الطرق العلمية

مكتبة الزاوية القاسمية لا تقوم بعملية الصيانة والترميم إلا بعض المخطوطات التالفة الاغلفة تقوم بإعادة تجليدها وذلك راجع الى بقاء المخطوطات سليمة من الاصابات من جهة عدم وجود أجهزة الصيانة من جهة أخرى.

3-4 مقترحات عامة لحفظ وصيانة المخطوطات:

1 - المهمة الوقائية: إن العمل الوقائي في عملية الحفظ هام وأساسي كونه يعمل على محاربة العناصر المضرة المتلفة بمختلف الوثائق ويتمثل هذا العمل في:

أ - المعالجة الوقائية: عملية إبادة الحشرات والقوارض بهدف إيقاف انتشارها في مختلف أنحاء المكتبة، وتتم هذه العملية مرة كل ثلاثة أشهر عن طريق أشخاص متخصصين وذلك تحت إشراف مصلحة الحفظ.
ب - عملية تطهير بالغاز: تفاديا لتلوث المكتبة ورصد الوثائق الموجودة فيها، يجب أن تتم معالجة كل الوثائق بواسطة عملية التطهير بالغاز، وتهدف هذه العملية إلى القضاء على الحشرات الموجودة داخل الوثائق.

2- صيانة الخزائن:

أ - الظروف المناخية داخل الخزائن: تتميز كل المواد المكونة للوثائق بحساسيتها للأحوال المناخية المحيطة بها، وبصفة خاصة درجة الحرارة و الرطوبة ولهذا من الضروري ضبط هذين المقياسين ومحاولة الحفاظ على الاستقرار المناخي لمحيط الوثائق.

ب - النظافة داخل الخزائن:

- منع استعمال المخازن كقاعات عمل أو أكل.
- منع لمس أجهزة التكييف تجنباً لكل تغير مفاجئ للحرارة أو الرطوبة.

- ضرورة إعلام مصلحة الصيانة فوراً في حالة حدوث عطب في مكيفات المخازن.
3 - حماية المخطوطات: تتمثل مهمة الحماية في معالجة الوثائق الثمينة والنادرة المعرضة للتلف، فهدف الحماية هو إيقاف هذا التلف، والقضاء على آثاره.

4 - العمل على جمع هذه المخطوطات بعدما أصابها التشتت والتفرق، وهما داءان يصيبان المخطوطات عموماً ، وإذا كانت بعض المكتبات تقدم للمخطوط ما يستحقه، من جهة الحفظ الجيد والإدانة المستمرة مما يتيح له عمراً أطول، فإن هذا يتحقق مع المكتبات العامة كالمكتبة الوطنية فإنه لن يتحقق مع الأفراد إذ أصبح حفظ المخطوطات اليوم علماً منفرداً بذاته، له خبراؤه، والعارفون بتفاصيله.

5- تحقيق وطبع المخطوطات وإخراجها إلى النور، وتهيئة الوسائل الكفيلة بإيصالها إلى القارئ ويشير الواقع الحالي الى قلة ما هو مطبوع بالقياس مع وفرة المخطوطات الموجودة.

6- العمل على إدخال نظام تخزين آلي للمخطوطات واستخدام الطرق التكنولوجية الحديثة وذلك للحفاظ عليها من التلف والضياع.

7-التعاون والتنسيق مع الجهات والمكتبات الأخرى ذات الخبرة في هذا المجال من أجل تبادل المعلومات والخبرات، وعقد دورات تدريبية في مجال حفظ وصيانة المخطوطات.

8 - توفير الاعتمادات المالية الكافية لدعم أعمال الصيانة والترميم وشراء المواد والتقنيات والأجهزة التي تحتاجها إدارة الترميم الصيانة لضمان تشغيل هذه المرافق الحيوية الهامة.

خاتمة :

من خلال ما استعرضناه في هذا البحث تبين لنا أن التراث المكتوب في المخطوطات والوثائق هو القاعدة الأصلية التي تركز عليها ذاكرة وبنية كل أمة والمخطوطات هي الشاهد الأكبر على التاريخ والدليل الأعظم على السمة الحضارية لكل شعب من الشعوب لأنها تعتبر ذاكرته وهذا من خلال المخلفات التي تركت على صفحات هذه المخطوطات سواء كانت فكرية أو تاريخية وبهذا فقد نقلت إلينا التراث القديم ومظاهر الحضارة في شتى العلوم كاللغة والأدب والفن والعمارة والدين... الخ.

لحفاظ على المخطوطات وصيانتها يجب علينا وضع استراتيجية شاملة وخطة واضحة لحصر التراث المخطوط وبالتالي جمعه وتصنيفه وفهرسته وتحقيقه وحفظه في مراكز الحفظ المعتمدة التي توفر له الشروط اللازمة لبقائه، بدل تركه يتناثر داخل الخزائن هنا وهناك دون أدنى أي شرط من شروط الحفظ والصيانة.

وفي الختام يمكن القول أنه ما من يوم تغرب شمس على البلد إلا ويفقد فيه تراثنا المخطوط كلمة فسطرا ففقرة فورقة فملزمة فمخطوط حتى يأتي يوم يكون فيه هذا التراث نسيا منسيا ، فمن يوقف هذا النزيف الحاد ويضمد هذا الجرح العميق الذي أتى على تراثنا.

بعض المراجع:

الكتب:

- عطية أحمد إبراهيم الكفافي، عبد الحميد. حماية وصيانة التراث . القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.
- 1- يوسف مصطفى السيد. صيانة المخطوطات علما وعملا . القاهرة: عالم الكتب، 2002.
- شاهين عبد المعز. الاسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية، القاهرة الهيئة المصرية العامة لصناعة الكتاب. ص. 179.
- 3- اليونسكو. العناية بالمخطوطات وطرق مناولتها . كتيب عن حماية التراث الثقافي رقم 2 . باريس : اليونسكو ، 2006.
- 5- الهادي، محمد محمد. تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها في مراكز المعلومات والتوثيق والمكتبات، مجلة المكتبات والمعلومات الغربية يوليو 1988م، ص. 42.
- المسفر عبد العزيز بن محمد. المخطوط العربي وشئ من قاضيه. الرياض دار المريخ للنشر 1991، ص. 116.

المذكرات

- 7- منصورى أحمد . واقع وأفاق صيانة وحفظ المخطوطات بالجزائر: حالة مخطوطات الخزانة البكرية بتمنيط ولاية أدرار. رسالة ماجستير. علم الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
- 8- المحاسني، سماء زكي. صيانة الكتب والمحافظة عليه. المجلة العربية للمعلومات. العدد 1.
- 9- سباح، خضراء. تقنيات الحفظ والترميم في المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة العربية 3000. س2، ع3، 2001.

الويبوغرافيا:

10- دار الكتب المصرية. متاح على الرابط

التالي: <http://www.darelkotob.org/ARABIC/HTM...s/RESTORAT.HTM>

زيارة يوم : 2014/09/05